

البصرةُ منْ خلالِ رحلةِ (كارستن نيبور)
عام (١٧٦٥م)

Basrah through the journey of (Carsten Niebuhr)
in (1765)

أ.د. شاکر مجید کاظم - م.د. محمد سلمان منور
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم التاريخ

Assistant Professor.Dr. Shaker Majeed Kadhem
Dr.Mohammed Salman Manwar

History Department/College of Arts/University of
Basrah

ملخص البحث

تشكّل كتابات الرّحالة الأجنبيّ مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ العراق الحديث، لاسيًّا خلال حقبة الحكم العثمانيّ للعراق، وتكمن أهمّيّتها لا في عددها الضّخم فحسب، بل في ما تحويه من مادّة تاريخيّة غزيرة، ومنهجية في تقديمها؛ إذ قدّمت وصفًا واسعًا ودقيقًا لمختلف جوانب الحياة اليوميّة؛ بشكلٍ مختلفٍ، وأسلوبٍ مُتمعٍ تفتقر إليه أغلبُ مصادرنا المحليّة التي خاضتْ وعُنيتْ بتاريخ تلك الحقبة. وهذه الدراسة تُعنى بالبحث في أوضاع البصرة خلال العهد العثمانيّ بالاعتماد على ما كتبه الرّحالة الألمانيّ (كارستن نيور)، الذي وصل إلى البصرة في عام (١٧٦٥م)، ونيور من أكثر الرّحالة الأوربيّين دقّة في المشاهدة والتّوثيق؛ إذ يُعدّ أوّل رّحالة رسم لنا خرائط الأماكن التي زارها بصورةٍ دقيقة، ما جعله مصدرًا موثوقًا، مقارنةً بأقرانه من الرّحالة الآخرين، مُقدّمًا مادّةً تاريخيّةً مهمّةً، لها قيمتها في توضيح الأحداث واستقرائها، على الخصوص أوضاع البصرة في ذلك الوقت.

Abstract

The writings of foreign travelers are considered an important source to study the modern history of Iraq, especially during the Ottoman rule of Iraq. This importance is not attributed to the great number of these writings, but also to the rich historical material they contain and the methodology of their presentation. They offered an accurate and a comprehensive description of the different aspects of daily life in a different and interesting style, that is not found in most of the local sources that approached and studied that period of time. The present study explores the city of Basra conditions during the Ottoman era based on the writing of the Cariston Niebuhr who arrived at Basra in ١٧٦٥. He is one of the well-known European travelers who is known by his accuracy of observation and documentation. He is the first traveler who accurately drew maps to the places that he visited. This made him a reliable source in comparison with his travelers peers due to the significance of the historical data he has presented which contributed to shed light, notably on the events of that time.

مقدمة

تُعدّ كتب الرّحلات أو ما يُعرف -اصطلاحاً- بأدب الرّحلات مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ، لاسيّما التاريخ الحديث؛ إذ نشطت خلاله الرّحلات التي كان الباحثون والرّحالة الأوروبيون من أبرز روادها. إنّ أهميّة تلك الرّحلات تكمن في أنّ كاتبها حاول أن يرسم، أو يُصوّر كلّ ما جرى من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلته إلى الأماكن والبلدان التي زارها وبشكل دقيق جداً، بحيث تتناول أغلب جوانب الحياة العامّة للبلدان التي يزورها أو يمرّ بها؛ لذا، فإنّ أهمّيّتها تتعدّى الجوانب التاريخيّة والجغرافيّة لتشمل الجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة، الأمر الذي يُضفي على تلك الكتابات جانباً كبيراً من المتعة والتشويق لقراءتها.

حضيت مدينة البصرة باهتمام كبيرٍ من قِبَل الرّحالة الأوروبيين خلال العصر الحديث، وحتى الرّبع الأوّل من القرن العشرين، فقد حرص الكثير من أولئك الرّحالة على زيارتها والبقاء فيها مدّة من الزمن، ليس لكونها واحدة من أهم ولايات الدّولة العثمانيّة التي كانت محطّ اهتمام أولئك الرّحالة فحسب، بل لأهمّيّتها التاريخيّة والجغرافيّة والحضاريّة، ولأنّها تُعدّ نقطة استراتيجيّة مهمّة على طريق التجارة العالميّة بين الشّرق والغرب؛ لكونها تشكّل بداية الطريق البرّيّ

بين شمال الخليج العربيّ والبحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن كونها تقع في نهاية الطريق التجاريّ البحريّ بين الهند وجنوب شرق آسيا، وإلى آخر نقطة في شمال الخليج العربيّ، بل تتعدّها إلى أكثر من ذلك، من خلال الملاحة في شطّ العرب، ونهري دجلة والفرات في عمق الأراضي العثمانيّة آنذاك.

كانت رحلة (كارستن نيبور) إلى مدينة البصرة في عام (١٧٦٥م)، من أشهر الرّحلات التي تناولت المدينة وتاريخها، وكثيراً من جوانب الحياة العامّة فيها؛ إذ تُعدّ أولى الرّحلات التي تركت لنا وصفاً دقيقاً عن البصرة، كما سنلاحظ ذلك من خلال البحث.

وأخيراً، لا بدّ من أن تُبيّن أنّ البحث اقتصر على مدينة البصرة فقط، ولم يتمّ التوسّع فيه إلى المدن والمناطق المجاورة لها، أو التّابعة إليها إدارياً.

البصرة في رحلة (كارستن نيبور)

شكّلت كتابات الرّحالة الأجنبيّ مصدرأ مهمّاً لدراسة تاريخ العراق الحديث، لاسيّما خلال عهد الحكم العثمانيّ للعراق الذي امتدّ بين عامي (١٥٣٤م - ١٩١٧م)، وتكمن أهمّيّتها لا في عددها الضّخم^(١) فحسب، بل في ما تحويه من مادّة تاريخيّة غزيرة، ومنهجية مختلفة في تقديمها، فقد قدّمت وصفاً واسعاً ودقيقاً لمختلف جوانب الحياة اليوميّة، بشكلٍ مختلفٍ، وأسلوبٍ ممتعٍ تفتقر إليه أغلبُ مصادرنا المحليّة التي خاضتْ وعُنيَتْ بتاريخ تلك الحقبة^(٢).

كان العراق محطّ اهتمام الرّحالة الغربيّين في العصور الحديثة، حالة حال معظم بلدان الشرق، وبخاصّة بلدان الشرق الأدنى، فمنذ بداية القرن السّادس

عشر الميلاديّ، وما تلا ذلك، أخذ الرّحالة الأوروبيّون بالتوجّه نحو الشّرق^(٣)، خصوصاً بعد أن طرأت تغييرات في نظرة الدّول الأوروبيّة المسيحيّة للإسلام، فقد تراجعت النّظرة الدّينيّة المتشدّدة التي كانت الأساس الحاكم لعلاقات وتعاملات أوروبّة مع المسلمين، مقابل حصول العلاقات التّجاريّة بين الطرفين، والتي تكفّلت بالتخلّي أو التقليل من حجم التّحفّظات النّقديّة أو الدّينيّة^(٤).

تطوّرت الرّحلات خلال القرن السّابع عشر الميلاديّ من رحلات فرديّة يقوم بها أشخاص معيّنون، بدافع حبّ الاستكشاف وروح المغامرة، إلى واحدة من أبرز اهتمامات الحكومات الأوروبيّة التي أخذت تعمل على استكشاف الشّرق، لاسيّما في أواخر هذا القرن؛ إذ تحوّلت الرّحلة شأناً من شؤون الدّولة، بناء على توصيات من قبل الدّوائر الرّسميّة والتّجاريّة في تلك الدّولة.

وفي مطلع القرن الثامن عشر الميلاديّ ازداد الاهتمام بالرّحلات بشكل أكبر من قبل الحكومات الأوروبيّة، بعد أن بدت أوروبّة خلال هذا القرن واثقة من نفسها ومن قدراتها للبدء بالسيطرة على بقية أجزاء العالم، وخاصّة بلاد الشّرق، فقد اعتبرت أوروبّة نفسها أنّها تعرف الشّرق بشكل كافٍ، ما يُمكنها من اختراجه عملياً^(٥)، فاحتدم الصّراع الدّوليّ والتنافس التّجاريّ بين أغلب القوى الأوروبيّة الطامعة في الشّرق آنذاك^(٦).

ثمّة عدّة أسباب جعلت البصرة تحظى باهتمام متزايد من خلال الرّحالة، ومنها: أهمّيّتها التّجاريّة في العصر الحديث، التي ازدهرت خلال تلك الفترة، وشهرتها التّاريخيّة المعروفة، فضلاً عن موقعها الاستراتيجيّ المهمّ؛ لذا فقد تناولت كتب الرّحلات تاريخ البصرة بشكلٍ مُفصّلٍ، ولم تترك جانباً منه إلاّ

وتناولته بالشرح والتحليل^(٧)، وفي هذا السياق، فإنَّ رحلة الرَّحالة الألمانيِّ (كارستن نيبور) تُعدُّ واحدة من أهمِّ تلك الرَّحلات الأوروپيَّة؛ لما امتاز به من وصف دقيق للبصرة خلال رحلته إليها، وبخاصَّة ما قدَّمه من خرائط وصور للمدينة عندما زارها في عام (١٧٦٥م).

وقبل الخوض في تفاصيل رحلته إلى البصرة^(٨)، لا بدَّ من التطرُّق إلى شخصيَّة صاحب الرَّحلة، وهو الألمانيِّ (كارستن نيبور).

وُلد (كارستن نيبور) في السَّابع عشر من آذار (١٧٣٣م) في مدينة (لودينغورث Ludingworth)، في ولاية هانوفر شمال غرب ألمانيا، لأبٍ فلاح، وقد مارس (نيبور) الزَّراعة في مطلع حياته، لكنَّه درس الرياضيات بعد أن أظهر ميلاً للدراسة في جامعة (غوتينغن Gottingen) الشهيرة بدراسة الرياضيات والطبيعة^(٩)، وقد تلقَّى -أيضاً- دروساً في علم المساحة والخرائط^(١٠).

دُعِيَ (نيبور) في عام (١٧٦٠م) لالتحاق بالرَّحلة البحثيَّة الفنيَّة للبحوث العلميَّة^(١١)، التي قرَّر الملك (فردريك الخامس Frederick v) -ملك الدانمارك والنرويج^(١٢)- إرسالها إلى الشَّرْق الأدنى وجنوبي جزيرة العرب بصفة خاصَّة؛ إذ كُلف نيبور القيام بالأبحاث الجغرافيَّة^(١٣)، بينما كانت مهمَّة العلماء الأربعة الاسكندنافيِّين العمل في تدقيق اللُّغات وعلوم الطبيعة^(١٤).

وفي السَّابع من كانون الثاني (١٧٦١م) أبحرتُ البعثة على متن أسطول حربيٍّ^(١٥)، وبعد عناء كبير وصلتُ البعثة الدانماركيَّة إلى إسطنبول (القُسطنطينيَّة) في (٣٠ تموز ١٧٦١م)، ثمَّ انتقلتُ بعد ذلك إلى الإسكندريَّة، التي وصلتُها في

(٢٦ أيلول ١٧٦١م)، فمكثت البعثة في مصر قُرابة السّنة، وفي صيف عام (١٧٦٢م) ترافق نيبور مع فون هافن في مهمّة خاصّة، وهي محاولة اقتفاء خُطوات النّبِيّ موسى ﷺ وخروجه وقومه من مصر إلى بلاد كنعان (فلسطين)، واكتشاف كلّ أثرٍ لمسيرتهم عبر صحراء سيناء^(١٦)، ثمّ انتقلوا بعدها إلى الجزيرة العربيّة، وذلك في تشرين الأوّل عام (١٧٦٢م)؛ إذ أبحر الرّجال الخمسة ومعهم خادمهم السّويديّ جنوباً في البحر الأحمر، متّجهين صوب جدّة، ثمّ مكّة، وبعدها اتّجهوا نحو اليمن، فوصلوا إلى ميناء (اللّحية)، وبعد ذلك أخذوا يتنقلون في المدن والقرى اليمنيّة^(١٧).

وصل (كارستن نيبور) إلى البصرة في أوائل شهر آب (١٧٦٥م)، وقد سجّل لنا كثيراً من الملاحظات عن المدينة، ومختلف جوانب الحياة العامّة فيها، وافتتح تلك الملاحظات بتحديد موقعها بالنّسبة إلى خطوط العرض، فذكر أنّها تقع على خطّ العرض (٣٠-٣٠) ^(١٨)، وحّد محيطها بالاعتماد على طول السور الذي يحيط بها بحدود (١ $\frac{11}{22}$) ميلاً ألمانياً^(١٩)، وهي بذلك تكون واحدةً من المدن الواسعة نسبياً في ذلك الوقت، كما يؤكّد نيبور^(٢٠).

المظاهر العمرانيّة

بالرّغم من سعة مدينة البصرة، فإنّ مظاهر العمران والبناء فيها لم يكن متناسباً مع تلك السّعة؛ إذ يذكر نيبور أنّها «لا تكون عامرة بالبناء، بل تكتظّ بساتين التّمر...»^(٢١)، ويُرجع نيبور سبب ذلك إلى افتقار البصرة للصّخور والأحجار، وإلى انتشار المستنقعات فيها، ويبدو أنّ ذلك جعل من الصّعوبة

بمكان نقل الصّخور والأحجار إليها في ذلك الوقت .
ويُلاحظ -أيضاً- أنّ موادّ البناء كانت باهضة الثّمّن في تلك الفترة،
ويصعب على جميع النّاس الحصول عليها بسهولة، وكانت لا تُستعمل إلاّ في
المساجد والأبنية التّابعة للوجهاء والأثرياء، أمّا عامّة النّاس، فكانوا يعتمدون
على جذوع النّخل، والقصب في بناء مساكنهم؛ إذ بيّن ذلك بقوله: «وعليه،
فإنّ وجود الحجارة المصقولة هو أمر نادر، ويُسْتثنى من ذلك احتمال وجودها
على باب أحد الجوامع، وعليه، فلو استثنينا جذوع النّخل المستعملة في تشييد
البيوت الرّديئة، فإنّ أخشاب البناء هي الأخرى غالية الثّمّن»^(٢٢). ومع هذا، فإنّ
المدينة لم تخل من الأبنية المشيّدّة من موادّ البناء الجيدة؛ إذ تنتشر فيها بيوت مشيّدّة
من «الكلس»^(٢٣) والطابوق المفخور، وأنّ كثيراً من الجدران مكسوّة بمثل هذه
الحجارة فقط، وإلى جانب ذلك، تجد أنّ أكثر البيوت وكذلك أسوار المدينة مشيّدّة
من طابوق قد صُبّ بشكلٍ خاصّ، وجفّف في الشّمس -طابوق اللّبن-^(٢٤)،
فملاحظات نيبور بشأن المظاهر العمرانيّة لمدينة البصرة تُظهر أنّها كانت فقيرة في
هذا الجانب؛ مقارنة بسمعتها ومكانتها وامتدادها التاريخي، فضلاً عن أهمّيّتها
التجاريّة، وأنّها كانت تفتقر إلى البنى الخدميّة التحتيّة التي تُهيئ أجواءً صحيّة
ملائمة للعيش فيها، على الرّغم من كونها تضمّ الكثير من الأنهار والجداول
المرتبطة بحركة ظاهرة المدّ والجزر من خلال شطّ العرب، فيشير إلى ذلك بقوله:
«وحيث إنّ مستوى الآخر يرتفع بسبب المدّ إلى تسعة أقدام تقريباً، فالمفروض
أنّ يساعد هذا الأمر كثيراً على المحافظة على نظافة المدينة. وتجد أنّ أكثر البيوت
تصبّ المياه القذرة (الملوّثة) في الطرقات التي ليست مُعبّدة بالحجارة...»^(٢٥).

عانت البصرة إهمالاً كبيراً طول القرن الثامن عشر^(٢٦)؛ لذلك كان وضعها العمرانيّ باقياً على ما كان عليه عندما زارها نيبور في عام (١٧٦٥م)، ولعلّ أهمّ مظهر من مظاهر الإهمال الذي عانته البصرة آنذاك، هو أنّها كانت تتأرجح إدارياً بين كونها ولاية مرّة، ومُتسلّميّة وسنّجق مرّة أخرى، وأنّ ضعف موقف العثمانيين في الخليج العربيّ منذ مطلع ذلك القرن، أدّى بدوره إلى ضعف الاهتمام بالبصرة من الناحية السياسيّة والإداريّة، فهم لا يختارون لها ولايةً من رتبٍ عاليةٍ إلّا نادراً، فمنذ عام (١٧٠٩م) أنيط أمر تعيين الحكّام على البصرة لوالي بغداد، الذي كان يُعيّن نواباً له فيها بصفة (مُتسلّمين) يديرون شؤونها، واستمرت تلك الحالة حتّى عام (١٨٧٥م) عندما عادت البصرة لتصبح ولاية تابعة للباب العالي مباشرة^(٢٧).

إنّ بإلقاء نظرة على صورة المخطّط الذي رسمه نيبور للبصرة، نلاحظ أنّ مدينة البصرة مُحاطة بسورٍ من ثلاث جهات، هي: الشّمال والشّمال الغربيّ، والغرب، والجنوب والجنوب الشرقيّ، أمّا شطّ العرب، فإنّه يحدّها من جهة الشّمال الشرقيّ، ويحدها سورها نهران كبيران، هما: نهر الخندق من جهة الشّمال والشّمال الغربيّ، ونهر الخورة من جهة الجنوب الشرقيّ، وكانت تفرّعات هذين النّهرين تلتقي بنهر صغير جنوبي المدينة، يُدعى: نهر البنا^(٢٨)، ومن خلال هذا المخطّط نلاحظ أنّ نهراً ثالثاً يقطع المدينة من جهة شطّ العرب وحتّى أقصى الجنوب الغربيّ، وهو نهر العشار^(٢٩)، الذي كان شرياناً حيويّاً لأهل المدينة، سواء لاستخدامه في النّقل من وإلى شطّ العرب، أو لاحتياجات السكّان اليوميّة، ويبدو أنّ هذا النّهر كان من أكثر أنهار البصرة تلوثاً.

وتحتلّ بساتين النّخيل المساحة الأكبر من البصرة داخل السّور، أمّا العُمران أو البنايات، فإنّها تكون قليلة من الجهة المطلّة على شطّ العرب، ما عدا بناية الكمرك، التي هي محلّة المقام^(٣١)، وبعض الأبنية في محلّة -أو منطقة- المّناوي، أمّا معظم الأبنية، فتنتشر إلى الغرب والجنوب من مدينة البصرة، وباستثناء دار القبطان (القبودان باشا)^(٣١)، الذي يقع في محلّة المّناوي، فإنّ معظم دوائر المدينة ودور أعيانها، فضلاً عن وكالات الدّول الأجنبيّة؛ كفرنسا وبريطانيا، تقع في غرب وجنوب المدينة^(٣٢).

يذكر نيبور أنّ لمدينة البصرة خمسة أبواب، هي: باب الرّباط، الذي يقع في الجهة الشماليّة الغربيّة من السّور، وباب بغداد، ويقع في الاتّجاه نفسه، لكنّه إلى الغرب أقرب، أمّا الأبواب الثلاثة الأخر، فهي: باب الزّبير، ويقع في جهة الغرب، وبابا السّرّاجي والمجموعة، وهذان البابان يقعان في جهة الجنوب تقريباً. وبالنّسبة إلى أحياء أو محلّات البصرة في ذلك الوقت، فقد ذكر نيبور ثلاثاً وسبعين محلّة، وهي كما أوردها: (١- المناخ. ٢- المشراق^(٣٣). ٣- دنانيك. ٤- ابن عيد. ٥- عباية. ٦- ميدان العبيد. ٧- الدّوغ. ٨- أمّ البلابل. ٩- أمّ البزازين. ١٠- شيخ بادي. ١١- شيخ قنبر. ١٢- شيخ جوهر. ١٣- أمّ الطنوق. ١٤- قبلّة^(٣٤). ١٥- شيخ عمر. ١٦- مدبغة. ١٧- نهر البنات. ١٨- الشّيخ حبيب. ١٩- جسر اللّوح. ٢٠- مكحول. ٢١- المعدان. ٢٢- محمّد تحتة. ٢٣- حمّام كوت. ٢٤- محلّة القاضي. ٢٥- محلّة العرصة. ٢٦- محلّة سيّدرمضان. ٢٧- محلّة الأفغان^(٣٥). ٢٨- حكاكة^(٣٦). ٢٩- محلّة مرجانة. ٣٠- حسن دادة. ٣١- الكوّاز^(٣٧). ٣٢- بستان قصب. ٣٣- كوارخين.

- ٣٤- عزّ الدّين^(٣٨). ٣٥- محلّة خان زكار. ٣٦- القطانة. ٣٧- السّيف^(٣٩).
 ٣٨- حوش باشا^(٤٠). ٣٩- جسر الغربان. ٤٠- المجموعة. ٤١- مقبرة.
 ٤٢- صمغوتية. ٤٣- محمّد جواد^(٤١). ٤٤- عروة. ٤٥- غمقة.
 ٤٦- بحارنة. ٤٧- جسر العبيد. ٤٨- بلد السّياس. ٤٩- الدّوغ^(٤٢).
 ٥٠- حلل. ٥١- المقام^(٤٣). ٥٢- محلّة الجديدة. ٥٣- نظران^(٤٤).
 ٥٤- الصّبخة^(٤٥). ٥٥- معصرة^(٤٦). ٥٦- الخضر. ٥٧- الحدّادة.
 ٥٨- الخليلية^(٤٧). ٥٩- الشّربتية. ٦٠- محلّة اليهود. ٦١- حصرجية.
 ٦٢- السّمير. ٦٣- فتّالة. ٦٤- جسر الحوز. ٦٥- خشّابة. ٦٦- محلّة السّاعي.
 ٦٧- مئاوي^(٤٨). ٦٨- بريهة^(٤٩). ٦٩- عبّاس (العبّاسية). ٧٠- فرسي^(٥٠).
 ٧١- الخضراوية. ٧٢- كوت الكومرلي. ٧٣- المجصّة^(٥١).

وفي هذا السّياق، فإنّ هناك من يرى أنّ ما أورده نيبور بشأن محلّات البصرة غير دقيق؛ إذ إنّ بعض الأسماء التي ذكّرت لا تتعدّى كونها أسماء لبيوتات وعوائل أكثر منها محلّات سكنية، مثل: (شيخ جوهر، شيخ عمر، محمّد جواد،... الخ)، وأنّ هناك أسماء المهن التي سُمّيت بها بعض المحلّات، مثل: (الشّربتية، المجصّة، الحدّادة،... الخ)، فإنّها تمثّل مناطق مسماة لتلك المهن والحرف أكثر منها مناطق سكن؛ لذا فإنّ عدد محلّات البصرة أقلّ بكثير عمّا ذكره نيبور^(٥٢).

المظاهر الإدارية والعسكرية

تبعثُ مُسلمية البصرة إلى ولاية بغداد إدارياً طول عهد المماليك في العراق (١٧٤٩م-١٨٣١م)^(٥٣)، وكان السّلم الإداري فيها مشابهاً لما كان معمولاً به في

بقية المتسلميات في مناطق العراق الأخر، ويُعيّن متسلم البصرة من قبل الوزير (الوالي) في بغداد. ولتسلم البصرة مكانة مرموقة ضمن السلم الإداري لولاية بغداد؛ إذ كان واحداً من أعضاء المجلس الاستشاري المساعد (الدّيوان) للباشا في بغداد، الذي كان يتألف من كبار رجال الولاية، وهم: الكتخدا (الكيهة)، وأغا الانكشارية، وديوان افنديسي^(٥٤)، والقاضي، والمفتي، وحاكمي الحلة، وماردين^(٥٥)، وينظر المجلس في الأمور المهمة، ويُعقد في حضرة الوالي عندما يستقبل شخصية مهمة أو مبعوثاً من قبل السلطان^(٥٦)، وتوجد هناك وظيفة أخرى لها أهمية بالغة في هيكلية السلم الوظيفي في البصرة، وفي جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية آنذاك، وهي وظيفة (منصب) (الدفتردار)، ويكون متوليها بمثابة وزير المالية، ويُطلق عليه نيبور (آمر الخزينة)^(٥٧)، ويذكر نيبور: أن صاحب هذا المنصب في جميع المدن الأخر يرتبط بشكل مباشر بالسلطان العثماني في اسطنبول، ما عدا دفتردار البصرة، فإنه كان مرتبطاً أو تابعاً إلى باشوية بغداد فقط^(٥٨)، وفي هذا الشأن يؤكد المختصون في تاريخ تلك الحقبة قول نيبور بأن هذا المنصب اختلفت مدلولاته في القرن الثامن عشر عما كانت عليه في القرنين الماضيين^(٥٩)، فقد تمكّن باشوات بغداد من الاستئثار به بتعيين من يريدون أن يجعلوه «رقيباً عليهم في جمع الأموال وصرفها»^(٦٠).

ومن الوظائف المهمة التي يذكرها نيبور؛ وظيفة القاضي، فهو يشير إلى أن هذا المنصب المهم كان يتولاه قاضي يرسل من العاصمة (اسطنبول) سنوياً، وعندما تنتضي السنة يرسل قاضي آخر بدلاً عنه^(٦١)، وفي الواقع كان القاضي (قاضي الشرع) يُعيّن باقتراح من شيخ الإسلام في اسطنبول بموجب أمر (فرمان)

سلطانيّ، ومدة قضائه سنة، وتلحق به دار الإفتاء، ويرأسها مفتي المدينة، وكان للقاضي نواب في سائر الولايات^(٦٢)، وفي هذا السياق، يتطرق نيبور إلى ظاهرة الفساد الإداري في هذا الفصل المهمّ والحساس من مفاصل الدولة العثمانيّة والولايات التابعة لها آنذاك؛ إذ يذكر ذلك بقوله: «وعلى ما يُذكر، فقد حدث في كثير من المرات، أنّ القضاة الذين جاؤوا إلى هذه المدينة كانوا قد اشتروا فرمانهم (أمرهم السلطانيّ) من أشخاص آخرين، وسمّوا أنفسهم بأسمائهم، وعليه، فيمكننا بسهولة أن نستنتج أنّ هذا الموقع لم يُشغل من قبل شخصٍ مستقيمٍ إلّا فيما ندر»^(٦٣)، وهذا الأمر ليس بمستغربٍ في ظلّ حالة الانحطاط التي أصابت الدولة العثمانيّة بشكل عامّ، والعراق بشكل خاصّ، فقد كان نصيب العراق من الانحطاط أكبر من نصيب الولايات العثمانيّة الأخرى، من حيث أنّه يُعدّ بمنزلة المنفى للولاة والموظّفين الأتراك؛ إذ غالباً ما يمتعض الأتراك من العمل فيه، فبات لا يرغب العمل فيه إلّا من لا يجد عملاً في مكانٍ آخر، أو من يُفكّر في جمع ثروة خلال فترة قصيرة، وهذا ما جعل الجهاز الحكوميّ في العراق -آنذاك- من أكثر مفاصل الحياة العامّة ضعفاً وفساداً^(٦٤). وما يؤكّد ذلك، أنّ أمر القضاء في البصرة كان بيد النّائب (نائب القاضي) أو الوكيل الذي يبقى فيها بصورة مستمرّة؛ لكونه يعرف المدينة ولغتها، ولكون القاضي المعين من اسطنبول لا يفقه إلّا اللّغة التركيّة -غالباً-، فيما معظم أهل البصرة لا يعرفون إلّا اللّغة العربيّة^(٦٥).

تميّزت البصرة بطبقة اجتماعيّة مرموقة، مكوّنة من أعيان ووجهاء ورجال دين وعوائل ذات تاريخ عريق، عُرفت بـ(أعيان البلد) (AJAL EL)

(BELLAD) كما ذكرها نيبور^(٦٦)، وكان لهذه الطبقة دور مهمّ وفاعل في الحياة العامة فيها، فمن خلال ما أورده نيبور، فإنّ لهم امتيازات ذات صفة استشاريّة، فلا يحقّ للمتسلّم أن يُقدم على اتّخاذ أمر مهمّ دون استشارتهم في مجلس المشورة، وتمتعت تلك الطبقة بميزة أخرى ذات بُعدٍ اقتصاديّ واضح؛ إذ كانوا لا يدفعون أيّ رسم أو ضريبة عن أملاكهم غير المنقولة، وعلى الخصوص ملكيّاتهم من بساتين النخيل التي تُعدّ أهمّ وأكبر مصدر لثروة هذه الطبقة، وهذه على العكس من بقية الأهالي الذين يدفعون مبالغ طائلة للحكومة -آنذاك-، وفضلاً عن ذلك، كان لهم الحقّ في معاقبة فلاحيهم، على الرّغم من كون هؤلاء ليسوا عبيداً لهم^(٦٧).

ويبدو ممّا تقدم، أنّ العدالة الاجتماعيّة كانت غائبة في البصرة إبان الفترة التي قضاه نيبور فيها، فقد كانت الأعراف والقوانين تزيد هؤلاء الأثرياء (الأعيان) ثراءً، فيما تزداد الأهالي من العامة والفلاحين فقراً وبؤساً.

وإلى هذه الطبقة ينتمي أيضاً (المفتي الحنفي)، على الرّغم من أنّ غالبيّة أهل البصرة كانوا من أتباع المذهب الشّافعيّ، غير أنّ اتّخاذ المذهب الحنفيّ مذهباً رسمياً للعراق أثناء الحكم العثمانيّ فرض أنّ يكون المفتي حنفيّاً، حيث كانت مشيخة الإسلام بإسطنبول تُعدّ الدائرة الفقهيّة التي تصدر منها أوامر تعيينات الفقهاء والقضاة، وتُشرف على المحاكم الشّرعيّة في ولاية بغداد (العراق كافّة)، وتصادق على الأحكام المهمّة التي تصدرها المحكمة الشّرعيّة في مركز الولاية، كما تستأنف أحكام هذه المحكمة فيها^(٦٨). ويُشير نيبور -كذلك- إلى أنّ نقيب الأشراف^(٦٩) ينتمي إلى هذه الطبقة، والذي يخضع له كلّ الأشراف المقيمين في

البصرة وما جاورها من مدن وقصبات، والعرف يقضي بأن يكون هذا المنصب وراثياً، ويذكر أنّ سليمان باشا^(٧٠) نصب أحد هؤلاء الأشراف لعدّة سنوات بمنصب (المفتي الشافعي)^(٧١).

وقع نيبور في خطأ كبير دون قصدٍ منه، وذلك عندما ذكر -في معرض كلامه عن طبقة الأعيان- شخصيّة الشيخ درويش ابن الشيخ أنس باشا أعيان العباسي، بأنّه درويش الكوّاز، بقوله: «وكان أعظمهم منزلة هو الشيخ (درويش KAUASI)»^(٧٢)، و«وقع أحد المترجمين بالخطأ ذاته عندما ذكره بالشيخ درويش القوسي»، من سلالة عالم شهير يُدعى: قوس، بنى جامعاً جميلاً في هذه المدينة^(٧٣).

وعند البحث الدقيق في شأن ذلك الخلط لا نجد شيخاً اسمه (قوس)، أو لقب عائلة بصرية قديمة تُدعى بد(قوسي)، والواقع أنّ نيبور -وعلى الرّغم من تمتّعه بذاكرة قويّة، ودقّة في ذكر الأماكن التي زارها^(٧٤)- لم يتمكّن من أن يفرّق بين أسرة باشا أعيان وعلاقتها ببناء جامع الشيخ محمّد أمين الكوّاز، والواقع أنّ الشيخ الكوّاز ليس من أسرة آل عبد السلام العباسي، بل هو شيخهم وأستاذهم في العلوم، وإكراماً لجهوده التي بذلها لهم في مجال التعليم أقاموا له هذا الصّريح، الذي سُمّي بد: جامع الشيخ محمّد أمين الكوّاز، الذي توفّي في عام (١٥٤٦م)، وفي عام (١٦٠٢م)، قام الشيخ عبد السلام الثاني العباسي بتشييد القبّة الموجودة -إلى الآن- على ضريحه وتجديد بنائه، وفي عام (١٧٢٧م) قام الشيخ باشا أعيان العباسي بتشييد مئذنة لم يكن مثلها في البصرة -آنذاك-، وجدّد -أيضاً- بناء القبّة التي على الصّريح^(٧٥).

وهكذا نلاحظ الخطأ الذي وقع فيه نيبور عندما ألصق نسب الشيخ درويش ابن الشيخ أنس باشا أعيان، بالشيخ محمد أمين الكواز.

ويذكر نيبور أن الكروان باشي (قائد القافلة) كان ينتمي إلى هذه الطبقة أيضاً^(٧٦). وأن المفتي ونقيب الأشراف كان لهما سجون، فكان يخضع كل من: رجال الدين، وناظر المدرسة، والكاتب، إلى سلطة المفتي القضائية، فيما يخضع جميع الأشراف إلى سلطة النقيب عند اقتراح مخالفة ما^(٧٧).

وعلى الرغم من الطابع العسكري لمنصب القابودان باشا (القبطان)، إلا أنه كان أحد أهم أركان الإدارة في البصرة خلال تلك الفترة، ويشير نيبور إلى ذلك بقوله: «... القابودان باشا ما زال دوماً ضابطاً مهماً في البصرة، وكان المسلم يستدعيه إلى ديوانه كما يستدعي الدفتردار والأعيان... والشاهبندر... والقاضي؛ حين يستدعي الأمر لذلك، كمناقشة القضايا المهمة»^(٧٨)، وكانت بإمرة القابودان باشا ما بين (٥٠ - ٦٠) تكتة^(٧٩)، ومن واجبات القابودان تأمين نهري دجلة والفرات والخليج العربي من سطوات القراصنة، ومحاربة مثل تلك الأعمال، وكان تمويل ذلك الأسطول من واردات المقاطعات الكبيرة في كل من بغداد والبصرة، وكان صاحب هذا المنصب يُعيّن من قبل السلطان في بادئ الأمر، إلا أنه أصبح فيما بعد من صلاحيات باشا بغداد، وقد أشار نيبور إلى حالة الضعف التي كانت تعاني منها سفن القابودان باشا، فقد كانت مطليةً بهادّة القير (الزّفت)، التي كانت تُجلب من مدينة هيت الواقعة في أعالي الفرات، والمعروف أن تلك المادّة تقاوم المياه العذبة، وعلى العكس من ذلك بالنسبة إلى المياه المالحة؛ لذا، فإنّ حركة أسطول القابودان باشا في شمال الخليج العربي كانت

ضعيفة، وإنَّ حوادث القرصنة كان لها صدى في دجلة والفرات أيضاً^(٨٠).
ويصف نيبور وضع القوّات الإنكشاريّة التي كانت موجودة في البصرة أثناء
مكوثه فيها، فعلى الرُّغم من الامتيازات الكبيرة الممنوحة لهم، إلّا أنّهم لم يكونوا
على قدر المسؤوليّة في الانضباط وحفظ الأمن للأهالي، فالبصرة حينها لم يكن
فيها (أورطة)، وهي: وحدة عسكريّة كاملة للإنكشاريّة؛ إذ كان الضبّاط من
ذوي الرُّتب العالية يقيمون في القرنة، أمّا البصرة، فإنّها تُركت بيد صغار الضبّاط
فقط، وهم ممّن يعجز عن السّيطرة على أفراد الإنكشاريّة الذين كانوا تحت إمّرتهم.
ومع ذلك، فإنَّ باب القبول ضمن تشكيلات تلك القوّات كان مشرعاً لكلّ
من يُريد الانخراط في سلك الجيش، وقد قاموا بتشكيل جماعات تبتزّ الأهالي
وأصحاب المهن بحجّة توفير الأمن لهم مقابل مبالغ ماليّة. وإزاء تلك الخروقات
يذكر نيبور أنّ المتسلّم كان غير قادر على السّيطرة على هؤلاء الإنكشاريّة، لاسيّما
عندما تكون باشويّة بغداد شاغرة، ويذكر أنّ ثمانية إلى اثني عشر عنصراً يُقتل
بشكلٍ يوميٍّ منهم، وأنّ الكثير من النّاس انضمّوا إلى تشكيلاتهم ليحفظوا بعض
الأمان، وتجنّب غضب هؤلاء الأشرار - على حدّ قوله -^(٨١).

ويُعدّ نيبور أوّل من قدّم تعداداً لسكّان البصرة بأسلوبٍ علميٍّ، مستنداً على
عدد المحلّات وعدد البيوت التي توجد في كلّ محلّة، وثمّ عدد أفراد كلّ بيت؛ إذ
تضمّ البصرة سبعين محلّة^(٨٢).

وتضمّ كلّ محلّة ثلاثمائة أو أربعمائة بيت، فيما يضمّ بعضها بيوتاً تتراوح بين
عشرة إلى عشرين بيتاً، فضلاً عن وجود البساتين في المحلّات الأخرى، وتوجد
فيها بعض المقابر الواسعة جدّاً^(٨٣). ويبلغ متوسط عدد البيوت في محلّات البصرة

مائة بيت، ويتألف كل بيت من سبعة أفراد، ويبلغ عدد الأهالي ألفاً؛ على أكثر تقدير، بيد أنه استدرك، قائلاً: «إنني على شك أن يبلغ السكّان أربعين ألفاً؛ فيما لو أحصوا»^(٨٤).

وفي السياق ذاته، حاول نيبور أن يرسم خارطة ديموغرافية توضح الانتماء الديني والمذهبي والعرقي لسكّان البصرة -آنذاك-، إلا أنه لم يقدم أي إحصاء لذلك، ومما لا شك فيه أن العنصر العربي يشكّل الغالبية العظمى لسكّان المدينة على مدى الأزمان، وخاصّة خلال الفترة التي جاء فيها نيبور إلى البصرة، ثم يذكر نيبور أن المذهب السني كان يسود المدينة -آنذاك-، دون أن يُسمي أي مذهب من مذاهب أهل السنة كان سائداً فيها^(٨٥)، إلا أن الشيعة قد استوطنوا بشكل كبير فيها، خصوصاً بعد الاضطرابات الداخلية في إيران، فمنذ النصف الأوّل من القرن الثامن عشر تعرّضت إيران في عام (١٧٢٢م) لاحتلال الأفغان السنة لعاصمتهم إصفهان، ومصادرة الكثير من الموقوفات التي تدعم رجال الدين الشيعة في إيران، فقد شرّدت المئات من عوائل العلماء، الذين لجأ الكثير منهم إلى العراق خلال الفترة الممتدة بين (١٧٢٢م - ١٧٦٣م)، ما أدى إلى انتقال مركز الدراسات الشيعية (الحوزة) من إيران إلى العراق، لتستقر في كربلاء والنجف. وانتشر -كذلك- الكثير من الشيعة في بغداد والبصرة^(٨٦)، ولما كان السنة يتحفّظون من الشيعة أكثر ممّا يتحفّظون من أبناء المذاهب الإسلامية الأخر، فقد عرف الشيعة أنفسهم بأنهم من السنة^(٨٧).

وفي خضمّ تلك الأحداث، يُشير نيبور إلى أن المسلمين في البصرة لا يعيرون اهتماماً كثيراً لمسألة تأدية الفرائض الدينية، بينما لا يفوت الأثرياء منهم تأدية

الصَّلوات الخمس نهاراً؛ كي لا تتهمهم الحكومة بإهمال تكاليف دينهم حين لا تكون هناك تهمة توجه إليهم، وفي الوقت ذاته، لا تهتم الحكومة كثيراً لصلاة الفقراء.

ويذكر نيور أنّ الأرمن يؤلّفون القسم الأكبر من مسيحيي البصرة -آنذاك-، وقد نزح أغلبهم إليها من إيران. أمّا الصابئة، فقليلون جداً، وهناك الكثير من البانيان، وهم من فئة التجّار الهنود، جاؤوا من مقاطعة كوجرات الهندية^(٨٨). ويُشير إلى أنّ هناك ما يقرب من مائة عائلة يهودية في البصرة^(٨٩).

وقد كانت البصرة مركزاً تجارياً مهماً؛ إذ يمارس الكثير من التجّار الأوربيين التجارة فيها، فكان الإنكليز يزاولون تجارة واسعة كان أغلبها بيع الصمغ، والجوخ الأوروبي، والنسيج البنغالي الفاخر، وسائر أنواع الأقمشة الهندية من سورات. ويقوم في البصرة مستشار إنكليزي من بومباي مع بعض الكتبة ورجال الدين. أمّا المستشار الفرنسي، فإنّه غادرها بعد توقّف حكومته عن إرسال راتبه بشكل منتظم. وهناك -أيضاً- عدد كبير من التجّار الإيطاليين الذين يمارسون الأعمال التجارية عن طريق حلب، ومنها إلى البندقية ولوفورنو باستخدام طريق الفرات الصّحراوي، أو ما يُعرف بطريق (بصرة - حلب) التجاري^(٩٠).

أمّا ملاحظات نيور عن الزراعة في البصرة، فقد تركّزت بشكل كبير على اكتظاظ المدينة ببساتين النّخيل، وتنوّع أصناف تمورها، بحيث لا يوجد لها مثل في أيّ مكان آخر^(٩١)، فضلاً عن انتشار زراعة الحبوب، خصوصاً القمح والشّعير والأرز^(٩٢).

الخاتمة

تعدّ كتابات الرّحالة الأجنبي مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ العراق الحديث في العهد العثماني؛ لأنّها تناولت مختلف جوانب الحياة العامّة للأماكن والمدن التي زارها الرّحالة، والتي غفلت المصادر التاريخية عن ذكرها. وكانت البصرة مقصدًا لرحلات العديد من هؤلاء الرّحالة، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي المهم والمطلّ على طرق التجارة والمواصلات الدوليّة بين الشّرق والغرب، الذي يمثّل أهميّة كبرى للدول الأوروبيّة -آنذاك-، فضلاً عن أهميّة موقعها بالنسبة إلى الدولة العثمانيّة في ذلك الوقت.

شكّلت رحلة (كارستن نيبور) إلى البصرة حدًّا فاصلاً من بين الرّحلات التي سبقتها خلال القرنين السادس والسابع عشر، وصولاً إلى الأوّل من القرن الثامن عشر، وكذا الرّحلات التي تلتّ رحلة نيبور في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وحتى القرن العشرين، فقد كانت كتابات الرّحالة الذين سبقوا نيبور إلى البصرة عبارة عن نقل صورة مقتضبة ومختصرة عنها، دون تفاصيل دقيقة عن المناطق التي تذكرها، ولم تركز أو تذكر شيئاً عن الطرق التجاريّة. أمّا نيبور، فإنّه أسهب في تناول مختلف جوانب الحياة العامّة في البصرة؛ إن لم نقل: إنّهُ تعدّى ذلك بمحاولته الجادّة في إحصاء عدد سكّانها، كما لاحظنا ذلك، فضلاً عن اهتمامه بذكر النّواحي العمرانيّة للمدينة، لاسيّما سورها ومحلاتها والمباني الحكوميّة للدولة فيها، وتطرّق إلى الوضع الإداري للبصرة

وإداراتها التي كان لأعيان ووجهاء المدينة دور بارز فيها. فضلاً عن إشارته إلى الحالة الديموغرافية للمدينة التي تتسم بسيادة العنصر العربيّ المسلم من مختلف الطوائف، متطرقاً إلى وجود أعدادٍ لا بأس بها من أبناء الديانات والقوميّات الأخر التي تتعايش بشكلٍ سلميٍّ مع الغالبية العربيّة المسلمة في المدينة.

الهوامش

- ١- كوركيس عواد، (بليوغرافيا) عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م: ص ٢١٧-٢٣٧.
- ٢- إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨م-١٩١٨م): ص ٣٢.
- ٣- طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطالي ديلافالبي في القرن السابع عشر الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العدد العاشر (العدد الخاص بحوث المؤتمر العلمي الثامن للكلية): ص ٢٣.
- ٤- بطرس حبيب، الخلفيات الفكرية والسياسية للرحلة إلى الشرق في القرن الثامن عشر، بحث منشور في كتاب لبنان في القرن الثامن عشر: ص ٢٢٥.
- ٥- لقد قَدِّمَت المعرفة الاستشراقية كل ما يلزم من أدوات معرفية (إحصاءات سكانية، خرائط جغرافية، تقارير اقتصادية، عادات وتقاليد ولغات السكان، تاريخ الشعوب وفلسفتهم وديانتهم) للسياسة لوضع المخططات التوسعية. لقد غدا الشرق في هذا الوقت، خاصة بعد النصف الأول من القرن الثامن عشر مكشوفاً -أي: مهيباً- لاحتلاله. أصبح في متناول اليد فكرياً وسياسياً. المصدر نفسه: ص ٢٢٨.
- ٦- لمزيد من التفاصيل، يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٢٨.
- ٧- فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أوردها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م: ص ٤.
- ٨- هناك أكثر من ترجمة عربية لرحلة نيبور إلى البصرة، وقد اعتمد الباحث على ترجمة سعاد هادي العمري الذي ترجمه عن الألمانية بعنوان: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة (١٧٦٥م)، ط ١، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م. لاسيما في الاقتباس والتوثيق. أما خرائط البحث، فقد اقتُبِسَتْ من ترجمة عمير المنذر المعنونة:

- رحلة إلى شبه الجزيرة العربيّة وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج ٢، ط ٢، مؤسّسة الانتشار العربيّ، بيروت، ٢٠١٣ م.
- ٩- يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين: ص ٦٨٨.
- 10- www.britannica.com/biography/carsten.Niebuhr.
- ١١- يحيى مراد، المصدر السّابق: ص ٦٨٨؛ وبيتر برينث، بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب: ص ٨٣.
- 12- <https://www.britannica.com/biography/Frederick-v-king-of-Denmark-and-Norway>؛ وبيتر، المصدر السّابق: ص ٨٣؛ ويحيى مراد، المصدر السّابق: ص ٦٨٨.
- ١٣- نيبور، مشاهدات نيبور... المصدر السّابق: ص ٤.
- ١٤- وهم كلّ من: (فون هافن Von Haven، وفورسكال Farsskal، وكرامر Kramer، وبورين فيند Bauren Feind). بيتر، المصدر السّابق: ص ٨٣.
- ١٥- المصدر نفسه؛ ونيبور، المصدر السّابق: ص ٤.
- ١٦- بيتر، المصدر السّابق: ص ٨٥.
- ١٧- المصدر نفسه: ص ٨٦.
- ١٨- نيبور، المصدر السّابق: ص ٧؛ وعبد القادر باش أعيان العبّاسيّ، موسوعة تاريخ البصرة: ج ١، ص ٤٤.
- ١٩- الميل الألمانيّ يساوي: ٧٥٠٠ متر. نيبور، المصدر السّابق: ص ٧.
- ٢٠- المصدر نفسه.
- ٢١- المصدر نفسه؛ ويُنظر: عبد الله رمضان آل عيادة الرّفاعيّ، أعيان البصرة في القرنين التاسع عشر والعشرين: ص ٤٥.
- ٢٢- نيبور، المصدر السّابق: ص ٧.
- ٢٣- الجصّ.
- ٢٤- المصدر نفسه.
- ٢٥- المصدر نفسه: ص ٨.
- ٢٦- تعرّضت البصرة إلى الكثير من المشكلات، فعلى الصّعيد الخارجيّ، كانت معرّضةً

للتهديد الإيراني بشكل مستمر، لاسيما في عهد كريم خان الزند، الذي حكم إيران بين عامي (١٧٥٠م - ١٧٧٩م). وعلى الصعيد الداخلي، فإنها عانت من اضطراب الأوضاع الداخليّة طول حكم الماليك للعراق بين عامي (١٧٥٠م - ١٨٣١م)، وعلى الخصوص اضطراب الأوضاع بعد وفاة والي بغداد سليمان باشا أبو ليلة في عام (١٧٦١م)، فضلاً عن تعرّضها لهجمات القبائل العربيّة القادمة من جهة البادية باستمرار. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: عبّاس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، حكومة الماليك، ص ٥١؛ وعثمان بن سند الوائليّ البصريّ، مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة (١١٨٨هـ) إلى سنة (١٢٤٢هـ) / (١٧٧٤م - ١٨٢٦م): ص ٨٧؛ وستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ١٢٣٣.

٢٧- عبد العظيم عبّاس نصّار، بلديّات العراق في العهد العثماني (١٥٣٤م - ١٩١٨م)، دراسة تاريخيّة وثائقيّة: ص ٢٢٨.

٢٨- يتكوّن هذا النهر من النقاء ذنائب نهر الخندق في منطقة المشراق، وهو من الأنهر المدرسة، وكان يجري بجوار محلّة نظران ومستشفى البصرة العام (الجمهوريّ). عبد الله رمضان آل عيادة الرّفاعي، مسمّيات البصرة، محلّاتها - أسرها - أعلامها، من القرن الأوّل الهجريّ إلى نهاية القرن الرّابع عشر الهجريّ: ص ٢٥.

٢٩- ويشقّ البلدة ليسقي النّخيل والأشجار التي هي داخل سور البصرة، ويستقي منه أهل البلد، وتدخل فيه السّفن الصّغار التي تجلب الأمتعة من الإسكيلة (رصيف العشار للسفن) إلى مركز المدينة في منطقة البصرة القديمة الحاليّة. أحمد نوري الأنصاري، النصرة في أخبار البصرة: ص ٣٢؛ وعبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٩٠.

٣٠- ومن الجدير بالذّكر: أنّ منطقة المقام أو العشار سُمّيت بالعشار نسبة إلى نهر العشار الذي يمرّ بها من شطّ العرب شرقاً حتّى نهاية البصرة غرباً، أمّا الاسم الأوّل فهو نسبة إلى اسم المسجد الذي فيه مشهد أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، أمّا الاسم الثاني، فلم يُتفق عليه لحدّ الآن، ويرى البعض أنّه اشتقاق من العشر (ضريبة الحكومة) على الأموال (السّلح والبضائع) الواردة إلى البصرة. عبد القادر باش أعيان العبّاسي، المصدر السّابق: ص ٢٤١.

- ٣١- لمزيد من التفاصيل بشأن القابودان باشا، يُنظر: لونكريك، المصدر السابق: ص ٢٢٠٥.
- ٣٢- نيبور، المصدر السابق: ص ٨.
- ٣٣- وهي من المحلّات القديمة في البصرة الحاليّة؛ إذ تأسست بعد خراب البصرة الأولى وتأسيس البصرة الحاليّة بين عامي (٨٠٠هـ-٨١٠هـ/١٣٩٧م-١٤٠٧م). عبد القادر باش أعيان العباسيّ، المصدر السابق: ص ٢٣٣.
- ٣٤- كانت محلّة القبلة من المحلّات الزاهية في البصرة، وخاصّة عندما أسس فيها السيّد محمّد سعيد نقيب البصرة داراً واقعة بنهاية محلات البصرة غرباً، ويأتي بعدها طريق باب الزبير، الذي يصل البصرة بالزبير، وبعد الاحتلال البريطانيّ للبصرة اتّخذ هذا الدار مركزاً لدائرة الشرطة. المصدر نفسه: ص ٢٣٦.
- ٣٥- وتُعرف هذه المحلّة كذلك باسم محلّة البلوش. المصدر نفسه: ص ٢٣٨.
- ٣٦- تقع جنوب محلّة القبلة، وكانت دوراً للحكّام والأمرء الذين كانوا يحكمون البصرة في أوائل عهد الاحتلال العثمانيّ للبصرة. المصدر نفسه: ص ٢٣٦.
- ٣٧- لمزيد من التفاصيل بشأن نشأة وتوسّع محلّة الكوّاز، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التّاريخيّة: ص ٨١.
- ٣٨- وهي من توابع محلّة المشراق، وهي من محلات البصرة القديمة، وفيها ضريح السيّد يوسف عزّ الدين الرّفاعي، وقبل الحرب العالميّة الأولى كانت تحيط هذه المنطقة ساحة كبيرة فيها بعض القبور. عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٨٣.
- ٣٩- المصدر نفسه.
- ٤٠- سُمّيت بهذا الاسم لتعدّد الباشاوات الذين سكنوها من ولاية البصرة. المصدر نفسه: ص ٨٤.
- ٤١- سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الزّاهد محمّد جواد، وهو ضريح عليه قبّة وحوله مقبرة قديمة، وكانت فيها مدرسة شهيرة تسمّى: مدرسة يحيى بن محمّد جواد، وذلك في حدود سنة (٩٨٠هـ)، وكانت عامرة، وفيها بيوت كثيرة، أمّا الآن، فهي خراب، وجُعِلت مقبرة. عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٢.
- ٤٢- وردت مرّتين عند نيبور، يُنظر: نيبور، المصدر السابق: ص ٩.

- ٤٣- يُنظر هامش رقم (٣٠).
- ٤٤- وتقع بين نهري الخندق والعشّار. عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٨٧.
- ٤٥- المصدر نفسه.
- ٤٦- المصدر نفسه: ص ٨٦.
- ٤٧- لمزيد من التفاصيل، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٢.
- ٤٨- كانت تسمّى على اسم رئيسها (مهنا)، وأُطلق عليها اسم مهناوي، وبمرور الزمن حُرّف اسمها وصارت تُلفظ (مناوي). المصدر نفسه: ص ٢٢٧.
- ٤٩- سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى نهر إبراهيم، ثم حُرّف وصار يُطلق عليها اسم: بريهة. المصدر نفسه: ص ٢٢٩.
- ٥٠- عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ١٠٨.
- ٥١- عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٩.
- ٥٢- فلاح حسن عبد الحسين، المصدر السابق: ص ١٠.
- ٥٣- لمزيد من التفاصيل بشأن عهد المماليك في العراق، يُنظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م)، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- ٥٤- ديوان افنديسي، وتعني: كاتب الديوان. المصدر نفسه: ص ١١٨.
- ٥٥- تقع ماردين ضمن حدود الجمهوريّة التركيّة حاليّاً.
- ٥٦- المصدر نفسه: ص ١١٧.
- ٥٧- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٥٨- المصدر نفسه.
- ٥٩- وهذا المنصب لم يعد له الواجبات نفسها التي كانت من اختصاصه في القرنين السّادس عشر والسّابع عشر الميلاديّ، فقد أصبح الدّفتردار في غضون القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يُتولّى فيه الكثير من الأحيان قيادة الجيش وأمور الولاية السياسيّة. نورس، المصدر السابق: ص ١١٨.
- ٦٠- المصدر نفسه.
- ٦١- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٢- نورس، المصدر السابق: ص ١١٨.

- ٦٣- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٤- عليّ الورديّ، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ج ١، من بداية العهد العثماني حتّى منتصف القرن التاسع عشر: ص ١٠٢.
- ٦٥- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٦- المصدر نفسه.
- ٦٧- المصدر نفسه: ص ١٥.
- ٦٨- رشيد الخيّون، المذاهب والأديان بالعراق: ص ٣٤٩.
- ٦٩- كان يتولّى هذا المنصب شخص هاشميّ ينتهي نسبه إلى السيّد أحمد الرفاعيّ، يُنظر: أحمد نوري الأنصاريّ، المصدر السابق: ص ٨٥.
- ٧٠- نيبور، المصدر السابق: ص ١٥.
- ٧١- المصدر نفسه.
- ٧٢- المصدر نفسه: ص ١٤.
- ٧٣- نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربيّة: ص ١٨٦.
- ٧٤- وصف ابن نيبور والده بأنّه كان قويّ الذّاكرة، وعلى الرّغم من كونه مصاباً بالعمى، فقد صارع الموت وهو في سنّ الثالثة والثمانين، فكتب عنه: (كان والدي يتذكّر مدينة بيرسيوليس ويصف أسوارها وما نُقش عليها من نقوش بارزة بالتفصيل؛ كما لو كان يتكلّم عن بناية زارها قبل بضعة أيام)، يُنظر: بيتر، المصدر السابق: ص ٩٦.
- ٧٥- عبد القادر باش أعيان العباسيّ، البصرة في أدوارها الحضاريّة: ص ٨١.
- ٧٦- نيبور، مشاهدات نيبور: ص ١٥.
- ٧٧- المصدر نفسه.
- ٧٨- المصدر نفسه: ص ١٤.
- ٧٩- تكنة: وهي سفن حربيّة صغيرة مسطّحة. المصدر نفسه: ص ١٢.
- ٨٠- المصدر نفسه: ص ١٣.
- ٨١- المصدر نفسه: ص ١٨.
- ٨٢- ذكر نيبور في الأصل ثلاثاً وسبعين محلّة.
- ٨٣- يُذكر أنّ عدد من المحلّات القديمة بالأساس هي مقابر، مثل: محلّة عزّ الدّين،

- ومحمد جواد، وشيخ جوهر، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٢٤٠.
- ٨٤- نيبور، المصدر السابق: ص ٢١.
- ٨٥- كان أهل البصرة من أهل السُّنة على المذهب الشافعيّ، سوى أهل شطّ العرب شيعة، وأهل الزبير سُنّة حنابلة، يُنظر: رشيد الخيّون، المصدر السابق: ص ٣٣٥٢.
- ٨٦- إسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيميّ: ص ٣٤.
- ٨٧- نيبور، المصدر السابق: ص ٢١.
- ٨٨- بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، تعريب الأب الدكتور بطرس حدّاد: ص ٩٤.
- ٨٩- نيبور، مصدر سابق: ص ٢٢؛ ونبيل الرّبيعيّ، تاريخ يهود العراق (٨٥٩ ق.م- ١٩٧٣م): ص ١٠٤.
- ٩٠- لمزيد من التفاصيل بشأن طريق الفرات الصّحراويّ، يُنظر: إبراهيم محمد ساجت الرّبيديّ، طريق الفرات الصّحراويّ (بصرة - حلب)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ٩١- لمزيد من التفاصيل بشأن أسماء وأنواع التّمور التي ذكرها نيبور في رحلته، يُنظر: نيبور، مصدر سابق: ص ٣٢؛ وسليمان فيضي، البصرة العظمى: ص ١١٤.
- ٩٢- عبد الله رمضان، أعيان البصرة: ص ٤٥.

المصادر والمراجع

- الكتب العربيّة والمُعَرَّبَة:

- ١- أحمد نور الأنصاريّ، النّصرة في أخبار البصرة، تحقيق: د. يوسف عزّ الدين، ط ١، الوراق للنشر، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٢- إسحاق نقّاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النّعيميّ، ط ٢، المدى، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ٣- إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨م-١٩١٨م)، ط ١، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م.
- ٤- البلي، رحلة بالبي إلى العراق، تعريب: الأب الدكتور بطرس حدّاد، ط ١، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٥- بطرس حبيب، الخلفيات الفكرية والسياسية للرحلة إلى الشرق في القرن الثامن عشر، بحث منشور في كتاب لبنان في القرن الثامن عشر، ط ١، دار المنتخب العربيّ، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٦- بيتر برينث، بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٧- رشيد الخيّون، المذاهب والأديان بالعراق، ط ١، منشورات لسان الصدق، (د.م)، ٢٠٠٥م.
- ٨- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط ٦، مكتبة اليقظة العربيّة، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٩- سليمان فيضي، البصرة العظمى، ط ١، الفيحاء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
- ١٠- عبّاس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦، حكومة المالك، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٣م.
- ١١- عبد العظيم عبّاس نصّار، بلديات العراق في العهد العثمانيّ (١٥٣٤م-١٩١٨م)،

- دراسة تاريخية وثائقية، ط ١، المكتبة الحيدرية، (د. م)، ٢٠٠٦م.
- ١٢- عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦١م.
- ١٣- عبد القادر باش أعيان العباسي، موسوعة تاريخ البصرة، ج ١، شركة التايمس للطبع والنشر، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٤- عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، أعيان البصرة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط ١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٦م.
- ١٥- عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، مسميات البصرة، محلاتها-أسرها-أعلامها، من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط ١، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٥م.
- ١٦- عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة (١١٨٨هـ) إلى سنة (١٢٤٢هـ) (١٧٧٤م-١٨٢٦م)، تحقيق: الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، وسهيلة عبد المجيد القيسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م.
- ١٧- علاء موسى كاظم نورس، حكم الماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م)، دار الحرّية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- ١٨- عليّ الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ١، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، ط ١، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٩- كارستن نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة (١٧٦٥م)، ترجمة: سعاد هادي العمري، ط ١، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م.
- ٢٠- نبيل الربيعي، تاريخ يهود العراق (٨٥٩ ق.م-١٩٧٣م)، ط ١، الرافدين للنشر، لبنان، ٢٠١٧م.
- ٢١- يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٢٢- الرسائل الجامعية:
- ٢٣- إبراهيم محمد ساجت الزبيدي، طريق الفرات الصحراوي (بصرة-حلب)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ٢٤-

- ٢٥ - البحوث والدوريات:
- ٢٦ - طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطاليّ ديللافاليه في القرن السابع عشر الميلاديّ، مجلّة دراسات تاريخيّة، العدد العاشر (العدد الخاصّ ببحوث المؤتمر العلميّ الثامن للكلية)، آيار، ٢٠١١م.
- ٢٧ - فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أورها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلّة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م.
- ٢٨ - كوركيس عواد، (بيليوغرافيا) عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلّة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م.
- شبكة المعلومات الدوليّة (الانترنت):
- <https://www.britannica.com/biography/Frederick-v-king-of-Denmark-and-Norway>.
 - www.britannica.com/biography/carsten.Niebuhr.